القصّة في الأدب العربيّ الحديث

تأثّر العرب المحدثون بالأشكال السّرديّة الغربيّة كالرّواية والقصّة فبدأت حركة التّرجمة والتّقليد – وكما أشرنا سابقا في مرحلة البدايات لظهور الرّواية العربيّة بأنّ العرب كانوا لا يميّزون بين المصطلحات: (الرّواية والقصّة، والمسّرحيّة). فحدث نوع من الخلط في المصطلحات إلى أن تحدّدت المفاهيم ومميزات كلّ جنس في مرحلة الإبداع – فظهرت أعمال كثيرة وبذلك تعدّ «الرّواية أكبر أنواع القصص من حيث الحجم، أمّا القصّة فهيّ حكاية حدث من الأحداث المتداخلة وهي أقل حجما من الرّواية»[1] وتعرّف القصّة من خلال عناصرها المتمثّلة في: (الحركة، والحادثة، والحوار والحبكة، والزّمان، والمكان، والعقدة، والحلّ). ويحيل مصطلح "القصّة" في النّقد الأدبي الحديث على الأحداث المنتهيّة التي يتمّ عرضها بواسطة اللّغة التي يتكفّل السّارد بالنّطق به[2]. وفي مسألة العناصر أيضا، يشير "محمد رمضان الجربي" إلى العناصر الآتيّة[3]:

– **الحادثة:** وتمثّل حادثة عامّة تحتوي على مجموعة من الأحداث الجزئيّة.

– **الشّخصيّة:** وتمثّل العنصر الرّئيس في القصّة؛ لأنّ الصّراع الدّاخلي والخارجي يحدث متعة وطرافة في القصّة.

---

[1] ينظر: محمد رمضان الجربي، الأدب المقارن، ص131.

[2] ينظر: عبد المالك قجور، القصّة ودلالتها في رسالة الغفران وحيّ بن يقظان ، ص24.

[3] ينظر: محمد رمضان الجربي، الأدب المقارن، ص32،31.

– **السّرد:** طريقة الكاتب في التّعبير عن الحدث والشّخصيّات ونقلها من الواقع إلى صورة مقروءة أو مسموعة ممتعة.

– **الزّمان والمكان:** وهما من العناصر المهمّة في القصّة لأنّ ربط الأحداث والعادات والتّقاليد بالزّمان، والمكان؛ يعطي القصّة قوة وطرافة وتأثيرا في العواطف الإنسانيّة.

– **الفكرة:** وهي الأساس الذي تقوم عليه القصّة، فمن خلال ترابط الأحداث تتكوّن الفكرة في ذهن الكاتب. ثم القارئ بعد القراءة.

– **البناء:** هو التّرابط الفني الوثيق بين عناصر القصّة، وامتزاجها ببعضها لتزداد جلاء ووضوحا وقوّة وإبداعا وتأثيرا في نفوس السّامعين.

وكما تختلف القصّة في بناءها عن القصّة القصيرة، والقصّة القصيرة جدّا، حيث أنّ القصّة تحتوي على حدث عام يقوم على وجود أحداث جزئيّة أمّا القصّة القصيرة فهي الحدث الجزئي، أمّا الأقصوصة فهي تمثّل ومضة أو مشهد من الحدث الجزئي.

«فالقصّة حكاية حدث من الأحداث المتداخلة تتعلّق بشخصيّات إنسانيّة مختلفة متباينة في عيشها وتصرّفها في الحياة، وهيّ أقلّ حجما من الرّواية، أمّا القصّة القصيرة فهيّ تمثّل حدثا واحدا في وقت واحد أو عاطفة واحدة مفردة وتمتاز بوحدة الانطباع مع المحافظة على الوحدات الثّلاث، وهي أقصر من القصّة، أمّا الأقصوصة فهي أصغر من القصّة

القصيرة، وتصوّر جانبا من جوانب الحدث، وتأخذ لقطة منه، وهي التي تتناسب مع العصر الحديث عصر السّرعة»[1].

ويشير "حسين مناصرة" إلى مسألة الحجم في ترتيب الأشكال السّرديّة وذلك في تحديده للقصّة القصيرة جدّا في كتابه: (القصّة القصيرة جدّا رؤى وجماليّات) نحو قوله: «يمكن تعريف القصّة القصيرة جدا على أساس أنّها بضع كلمات أو بضع أسطر تشكّل نصّا سرديّا مكثّفا، هو الحجم الأصغر في سلسلة فنّ القصّة المتدرجة من الرّواية، فالقصّة، فالقصة القصيرة فالأقصوصة، ثم القصة القصيرة جدّا»[2].

وفي الحديث عن حبكة القصّة نجد "محمد يوسف نجم"، يشير إلى المواد الأوليّة للقصّة فيقول: «يجب أن ننظر أوّلا إلى المواد الأوّلية التي تستمد منها (حبكة القصّة) وإلى قيمة هذه المواد عندما تتعارض بالحياة نفسها، فلو نظرنا إلى قصص كتّابنا. كتوفيق الحكيم والمازني ونجيب محفوظ وعبد الحميد السحار، وجدنا أنّ موضوعاتها مستمدّة من واقع الحياة التي تحيط بهم، على ما بينهم من اختلاف في الزّاوية التي ينظرون منها إلى هذه الحياة»[3]. فالقاص ينسج الحدث بشكل فنيّ مستمدّ مادّته من الواقع، لذلك نجد أعمال تميل إلى الواقعيّة مثل أعمال نجيب محفوظ

---

[1] محمد رمضان الجربي، الأدب المقارن، ص 131،132.

[2] حسين مناصرة، القصّة القصيرة جدّا رؤى وجماليّات، ص147.

[3] محمد يوسف نجم، فنّ القصّة، ص 53.

وحسين هيكل، وتوفيق الحكيم مثلا، إلاّ أنّ هذا الأخير قد برع في المسرح مثل مسرحية "أهل الكهف".

1- القصّة القصيرة المصريّة في الأدب الحديث:

أثبت فنّ القصّة القصيرة، أنّه يمتلك القدرة على استيعاب الأجناس الأدبيّة الأخرى، سردا أو شعرا، فهو يجري "كيميائه" الأدبيّة هضما وامتصاصا ليستوعبها ويهضمها تماما ويدخلها في نسيج بنيانه الفنّي بحيث تصير عنصرا أصيلا من عناصر تكوينه[1].

ومن أبرز كتّاب السّرد القصصي في فترة الخمسينات ومنتصف السّتينات من القرن الماضي الأستاذ "محمّد فتحي حسن المحامي"، كما كتب الأستاذ "أحمد عبد اللّطيف بدر" سردا قصصيّا بهدف تحقيق غايات أخلاقيّة وتعميق جوانب وأبعاد تربويّة وسلوكيّة، إشباعا لعاطفته الدّينيّة وإضافة لمسؤوليّاته الوظيفيّة، أمّا كتّاب فترة السبعينيات فقد تميّزت فترتهم بالتّألّق والازدهار الأدبيّ نتيجة سعيهم للتّواجد عبر فعاليّات ومنتديات أدبيّة متعدّدة وذلك بعد العودة من التّهجير والاستقرار وعقد المؤتمر الأوّل لأدباء بورسعيد ومن بينهم "زكريا رضوان"، "ومرسي سلطان"، ومن كتّاب جيل الثمانينات "ممدوح الباقوري"، "وحامد موسى"، و"أسامة المصري"، و"صلاح عساف"

---

[1] ينظر: أحمد مرشد، أثر المتغيّر الاجتماعي في السّرد القصصيّ نماذج من القصّة البورسعيدية القصيرة، Ahmedmarchad.blogspt.com، 19/11/2015، 15:06سا.

والقصص هنا تميّزت بطرح هموم ومعاناة والتّنفيس عن الآلام وانكسارات الواقع[1].

أمّا جيل التّسعينيّات فيتّسم بالاتّساع، والتّنوع، والتّعدّد، والتّحلّي بروح التّحدي، ومحاولة إنجاز التّحقّق ومن بينهم "محمد العبّاسي"، و"إبراهيم راجح" ومن أعمال العبّاسي (شمال شرق الوطن)، و(نوة الفيضة)، و(خريف أخير لصيّاد عجوز). أمّا "إبراهيم راجح" فهو يبدو في مجموعته (الحصاد)، صوتا معبّرا عن البسطاء والمهمّشين في الأحياء الشّعبيّة، حيث حياة الكاتب نفسه بين هموم النّاس، وما يواجهه الفقراء من مكابدة ومعاناة في تحصيل قوتهم[2].

2- القصّة الجزائريّة في الأدب الحديث:

عرفت نشأة القصّة الجزائريّة تطورّا من خلال النّمو الفنّي في السرد القصصي، الذي يعود إلى عوامل مختلفة، يمكن ضبطها كالآتي:

2-1- **الحركة الوطنيّة:** منذ عشرينات هذا القرن أخذت الحركة الوطنيّة تخطو نحو التّنظيم، وظهرت الأحزاب بدءا "بنجم شمال إفريقيا" الذي أنشئ في 1926، ثمّ الحزب الشّيوعي سنة 1936 ثمّ حزب الشّعب سنة 1937، وكان امتدادا جديدا "لنجم شمال إفريقيا"، وتحوّل إلى حركة انتصار

---

[1] ينظر: أحمد مرشد، أثر المتغيّر الاجتماعي في السّرد القصصي نماذج من القصّة البورسعيديّة القصيرة، Ahmedmarchad.blogspt.com، 19/11/2015، 15:06سا.

[2] الموقع نفسه.

الحريّات الدّيمقراطيّة سنة 1946، ثمّ أحباب البيان والحريّة سنة 1944 الذي أصبح الاتّحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري سنة 1945. وبغضّ النّظر عن النّشاط السّياسي الذي هو المجال الأوّل لهذه الأحزاب، إلاّ أنّ الوجه السّياسي كان يخفي وراءه أبعادا ثقافيّة وحضاريّة عميقة، أو يمكن القول إنّ الظّاهرة الفكريّة والثّقافيّة، حكمت الظّروف أن تتجلّى في البعد السّياسي[1].

2-2- **دور الصّحافة:** على الرّغم من اهتمام الصّحافة بالجانب السّياسي بيد أنّها احتضنت المحاولات الأولى من الأعمال الأدبيّة والفنيّة لأنّ الأدب كغيره من النّشاطات كان ينظر إليه بوصفه وسيلة تخدم القضيّة الوطنيّة ويجب أن يوظّف لهذا الغرض (...)، فجريدة "المبشّر" كانت جريدة معرّبة على مستوى العالم بعد "التّنبيه" و"الوقائع" المصريّتين إذ صدرت عام 1847. وازدهر النّشاط الصّحفي منذ العشرينات على وجه الخصوص، بفعل نضج الحركة الوطنيّة، وتعدّد الأحزاب، وهو ما أشار له الدكتور "عبد الملك مرتاض" الذي أفرد فصلا مفيدا للصّحافة العربيّة في الجزائر في كتابه: "نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر"[2].

2-**3**- **دور المقالة:** من المعروف أنّ المقالة بحكم حجمها وقدرتها على احتضان موضوعات اجتماعيّة، وسياسيّة كانت سلاحا قويّا في أيدي المثقّفين عامّة والمصلحين بصفة خاصّة، وهي من المرونة بحيث تسمح لكاتبها أن يحاصر موضوعه اليوم ليعالج موضوعا آخر غدا. وفي ذلك فرصة

---

[1] ينظر: "نشأة وتطوّر القصّة الجزائرية"، http://bairak.yoo7.com.

[2] ينظر: من الموقع نفسه.

فريدة لمواكبة الأحداث المتسارعة للنّظر فيها. وتحليلها وبالتّالي مساعدة المتلقّي من خلالها(...)، فهيّ ساحة يتمرّن فيها النّاشئون على الكتابة (...) حيث وجدوا في الطّابع القصصيّ ما يطعم كتاباتهم ويغذّيها حتّى لا تأتي ثقيلة مملّة. فعمدوا إلى المزج بين المقال والقصّة. وكأنّهم في ذلك يؤكّدون تواصلهم مع الأسلاف الذين ابتكروا هذه الأساليب ووظّفوها قصدا، كما في استطرادات "الجاحظ"، وفي فلسفة "حيّ ابن يقظان" المتأدّبة[1].

2-4- التّأثير المشرقي: بعد الحرب العالميّة الثّانيّة، أصبح الأدب العربيّ على رصيد مهمّ من الكتابات القصصيّة القصيرة والطّويلة. بفعل تعمّق الاحتكاك بالغرب وامتزاج الثّقافات ونشاط التّرجمة وتعلّم العرب لغات أجنبيّة كثيرة ومختلفة. وفي الوقت الذي كان فيه الاستعمار الفرنسي يمارس على الجزائر سيّاسة الحصار والعزلة، لم يقف الجزائريّون مكتوفيّ الأيدي بل ابتكروا أساليب مختلفة للمقاومة واسترجاع الذّات الضّائعة، ولم يكن لديهم أفضل من التّوجه نحو المشرق العربي. فيتّم التّواصل بطرق شتّى منها رحلات المشارقة إلى الجزائر مثل: "محمد عبده"، و"أحمد شوقي"، ورحلات الشّخصيّات الجزائريّة إلى المشرق ومنهم "حمدان الونيسي"، و"ابن باديس"، و"البشير الإبراهيمي"، و"الورتلاني"، و"أحمد رضا حوحو" وغيرهم[2].

2-5- **القصص الشّعبي:** أشار الدّكتور "عبد الله الرّكيبي" أنّه كان للقصص الشعّبي دور مؤثّر في نشأة القصّة. فالواقع الجزائري

---

[1] ينظر: نشأة وتطوّر القصّة الجزائريّة، الموقع السّابق.

[2] ينظر: الموقع نفسه.

الذي كان يموج بتداول السّير الشّعبيّة، وقصص البطولات، والقصص الدّينيّة والخرافات والسّحر والأمثال وهي ألصق بالواقع اليومي للمواطن جعل من هذه الأشكال التّعبيريّة على مرّ الزّمن واشتداد التّحدي الاستعماري وتصاعد موجات الغزو الثقافي، فسحة التّنفيس وأداة للتّعويض وسندا لإثبات الذّات وتأكيدا لحضور الهويّة، وبما أنّ الطّابع القصصي ظاهرة تغلب عليها أشكال التّعبير في الأدب الشّعبي، بما فيه الشّعر الملحون الذي كثيرا ما تأتي قصائده مطعمة بنسيج قصصي له بداية ووسط ونهاية – فإنّ الأدب الشّعبي– دون شكّ خلفيّة ثقافيّة تمارس تأثيرها في الكتابة الثقافيّة[1].

وعلى سبيل المثال (القصّة الخرافيّة الشّعبيّة)، التي قد تبتعد عن الواقع ولكنّها تظلّ لصيقة به ذلك أنّها تثير فينا الخيال وتستنطقه، فعندما يتحدّث الرّواي عن الغابة يدفعنا على تصوّرها من واقع معرفتنا بها وبصورتها في خيالنا... ولذلك فهيّ تبني الجسور بين الماضي والحاضر والمكان وهي تتناول واقعنا الذي نعيشه... وقد تشير إلى المستقبل وذلك من خلال نماذج بسيطة مثل البنات اللائي يذهب والدهنّ إلى الحجّ أو الفتاة والذئب أو التي تذهب للبحث عن النّار[2]. وبذلك فالقصّة الشّعبيّة الجزائريّة على اختلاف مضامينها وأساليبها وأشكالها، لعبت دورا واضحا في ملء الفراغ

---

[1] ينظر: نشأة وتطّور القصّة الجزائريّة، الموقع السابق.

[2] ينظر: محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشّعبي الجزائري، دار العلوم للنّشر والتّوزيع عنّابة، ج1، دط، 2013، ص69،70.

الأدبيّ في فترة ضعف فيها الأدب العربي، كما أنّها عبّرت عن روح الشّعب الجزائريّ، وتعلّقه بماضيه ودفاعه عن وجوده وكيانه[1].

أمّا مصدر الاختلاف في تحديد تاريخ وتعيين كاتب لنشأة القصّة القصيرة فيعود إلى الارتكاز على القصص في غالب الأحيان دون سائر الأدوات الفنّية التي بها أو بمعظمها يكتمل البناء الفنّي؛ لذلك نجد "عبد الله الرّكيبي" يحسن التّخلص من تحديد تاريخ للنّشأة ليقول عن المقال القصصيّ يعدّ المقال القصصيّ الشّكل البدائي الأوّل الذي بدأت به القصّة الجزائريّة القصيرة، وقد تطوّر المقال القصصيّ عن المقال الأدبي بل تطوّر عن المقال (الإصلاحي بالدّرجة الأولى)، ولكن ليقرّر لاحقا، فإذا كان "المقال القصصيّ" هو البذرة الأولى لبداية القصّة، فإن الصورة "القصصيّة" هيّ البداية الحقيقيّة للقصّة الجزائريّة القصيرة، وأوّل صورة قصصيّة ظهرت "عائشة"، وقد طبع هذا النّص ضمن مجموعة قصصيّة لـ "محمد سعيد الزّاهري" بعنوان "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" وذلك عام 1928. ويرى "عبد الملك مرتاض" أنّ أوّل محاولة قصصيّة عرفها النّثر الحديث في الجزائر تلك القصّة المثيرة التي نشرت في جريدة الجزائر. وهو يقصد قصّة (فرانسوا والرّشيد) "لسعيد الزّاهري" المنشور عام 1925[2].

---

[1] ينظر: نشأة وتطوّر القصّة الجزائريّة، الموقع السابق.

[2] ينظر: الموقع نفسه.

وذهبت "عايدة أديب باميّة" إلى أنّ أوّل قصّة منشورة هي قصة "دمعة على البؤساء"، التي نشرتها جريدة "الشّهاب" في عدديها الصادرين يومي18 و28 أكتوبر عام1926. ويشير "عبد الله بن جلي" إلى أنّ: (محاولة "عائشة" تمدّنا بفكرنا عامّة عن استخدامه للإطار القصصيّ، فهي المحاولة الوحيدة التي تمسّ إلى حدّ ما الهيكل القصصيّ)، غير أنّ نص "عائشة" لم يتوفّر على ما يسمح بإدراجه في فنّ القصّة القصيرة. وهو يبيّن في موضع آخر قائلا: «الحقيقة الأولى التي لا جدال فيها هي أنّ الكاتب "أحمد رضا حوحو" هو الرّائد الذي وضع اللّبنة الأولى للقصّة العربيّة الحديثة في الجزائر، والحقيقة الثّانيّة هي أنّه الكاتب الوحيد الذي تحمّل عبأها مدّة لا تقلّ عن عشر سنوات كاتبا، وناقدا، ومترجما في زمن خلت فيه القصّة من كتابها»[1].

بينما "صالح خرفي" قد نسب الرّيادة في كتابة القصّة إلى "محمد بن عايد جلالي" مرّة في كتاب، وفي كتاب آخر يقول أنّ الرّيادة "لرمضان حمّود" في هذه القصّة التي نشرت في العشرينات بعنوان "الفتى" فهو أوّل من جرّب كتابة القصّة في الأدب الجزائري الحديث، وهناك من يشير إلى أنّ تاريخ نشأة القصّة يعود "لمحمّد بن إبراهيم" في "حكاية العشّاق في الحبّ والاشتيّاق" ولو أنّ لغته ليست فصحى خالصة (...)، وبالاعتماد

[1] ينظر: نشأة وتطوّر القصّة الجزائريّة، الموقع السابق.

على أعمال "عبد الملك مرتاض"، و"عبد الله الرّكيبي"، و"عبد الله بن حلي" يمكن تمييز مراحل تطور القصّة القصيرة في الجزائر إلى[1] :

- مرحلة المقال القصصيّ.
- مرحلة الصّورة القصصيّة والتي تهتم برسم الشّخصيّة والحدث والحوار...
- مرحلة القصّة الاجتماعيّة.
- مرحلة القصّة المكتوبة خارج الوطن.

[1] ينظر: نشأة وتطوّر القصّة الجزائريّة، الموقع السّابق.